

**رؤية المؤرخين اليهود المحدثين للفتح العربى
لبلاذ الشام ومصر فى ضوء المصادر الإسلامية**

د. هانى عبد العزيز السيد

د. محمد نصر عبد الرحمن

كان الفتح العربي لبلاد الشام ومصر علامة بارزة في تاريخ هذه المنطقة على كافة المستويات السياسية والأيدولوجية والدينية والاقتصادية والاجتماعية. ومرجع ذلك أن هذا الفتح قد أدى لتحولات كبيرة في الأوضاع بالمنطقة سواء في تغيير النمط السياسي والأيدولوجي، أو فيما تركه من نتائج على سكانها. وبلا شك؛ فإن هذا التحول لم يكن هادئاً أو مر مرور الكرام نظراً لنتائجه البالغة الأهمية، وكان من الطبيعي ألا تقف وجهات النظر سواء في المصادر العربية الإسلامية أو المصادر الأخرى فيما يخص هذا الفتح وأسبابه ووقائعه ونتائجه وموقف سكان المنطقة من هذا الفتح.

ففي الوقت الذي تمجد فيه المصادر الإسلامية — مثل البلاذري في كتابه فتوح البلدان، الواقدي في كتابه فتوح الشام، ابن اعثم الكوفي في كتابه الفتوح، ابن عبد الحكم في كتابه فتوح مصر وأخبارها — هذا الفتح وتسهب في الحديث عن الترحيب الذي لاقته الجيوش الإسلامية في هذه المناطق؛ نجد بعض الكتابات — أمثال الكتابات المسيحية والسريانية — تنتقد هذا الفتح وعدد مخالفات الفاتحين، وما أحدثه الفتح من نتائج سلبية على المنطقة.

على هذا المنوال سار عدد من المؤرخين اليهود في العصر الحديث، حيث ادعوا أن المسلمين قد رأوا أن اليهود قد فشلوا في فهم الإسلام وضلوا الطريق، وأن الجماعات اليهودية كانت مضطهدة في ظل الإسلام، لأنهم رفضوا خاتم الأنبياء وحرفوا التوراة. وأن التزام اليهود بشريعتهم وإيمانهم القوي بعقيدتهم هو سبب اضطهادهم الدائم في مختلف عهود الإسلام، وكان ذلك هو التحدي الذي واجهه اليهودي طيلة هذه الفترة في الداخل والخارج.

على هذا يتناول بحثنا مقارنة رؤية عدد من المؤرخين اليهود في العصر الحديث لأسباب ووقائع ونتائج الفتح العربي لبلاد الشام ومصر بما ورد في المصادر الإسلامية، ثم يختتم البحث بالنتائج وقائمة المصادر والمراجع.

وقد وقع اختيار الباحثان على شريحة من أبرز المؤرخين اليهود الذين تناولوا قضية الفتح العربي لبلاد الشام ومصر بالدراسة وهم حوراني ألبرت ¹، دزيمون ²، دزيمون ستيورت ³، دزيمون ⁴، برخه زولتسك ⁵، بركة زولسك ⁶، أهارون كاهن ⁷، دزيمون ⁸، شموئيل سغرائي ⁹، شموئيل ¹⁰، حاييم بن ساسون ¹¹، بن ششون .

أولاً: أحوال الشام ومصر عند الفتح

(١) أحوال المنطقة قبيل الفتح من وجهة النظر اليهودية:

تناول المؤرخون اليهود أحوال المنطقة تحت الحكم البيزنطي، واستطرد عدد منهم في الحديث عن المعاناة التي عانتها الشعوب في ظل هذا الحكم فتقول برخه زولشك^١: "عانت الإمبراطورية البيزنطية عديد الانقسامات الدينية والفكرية. كما تجلت الفجوة كذلك في اللغة المحدثّة والأسس الثقافية؛ حيث تحدثت العامة اللغة الآرامية، وتحدثت القادة اللغة اليونانية. ليس ذلك فقط بل رأى القادة في أنفسهم طبقة تفوق الجميع. هذا وقد كانت العامة ذاتها منقسمة دينياً لطوائف مسيحية مختلفة، أعلنت الكنيسة عن كفر معظمها. أضف لذلك ضغط الضرائب لملء خزانة الدولة التي خويت نتيجة الحروب الكثيرة ضد الساسانيين (الفرس)".

ويؤكد أهارون كاهن^٢ على الانهيار الذي عانتها الإمبراطورية وعاناه المواطنين تبعاً لذلك قائلاً: "لقد كانت الإمبراطورية البيزنطية أشبه بجسد نغفن وتحلل، حيث ظلت طيلة أربع مائة عام في صراعات وحروب أنهكتها وأضعفتها حتى أصبحت لا تقوى على حسم صراعاتها الداخلية. ففي حروبها الأخيرة مع الإمبراطورية الفارسية الساسانية منذ ٥٤٠ م فقدت بيزنطة كثير من قوادها وجنودها، وحل محلهم جند مرتزقة واستسلمت بيزنطة بمرور الوقت لهؤلاء الجند وخضعت أطرافها المترامية لهم، خلت خزانة الإمبراطورية وقلت عائداتها حيث تحول كثير من أراضيها لملكية خاصة للكنيسة والصفوة ممن لا يدفعون الضرائب، الأمر الذي دفع الإمبراطورية لفرض المزيد من الضرائب، ليس هذا فحسب بل كانت تجبى بالقوة وبأبشع الطرق. كما عانت الشعوب في ظل الكنيسة من الاضطهاد الفكري والبيروقراطية التي خدمت الطبقة الحاكمة. هكذا كرهت الشعوب الخاضعة الحكم البيزنطي، الذي كان غريباً حتى ثقافياً ودينياً نتيجة الانقسامات الكثيرة داخل الكنيسة المسيحية. ولم تكن فارس بأحسن حال؛ حيث تعرضت منذ القرن السادس لقلقل وحركات دينية لم تنقطع؛ ولم يمت ملك فارسي بعد الملك خسرو الأول عام ٥٧٩ م ميتة طبيعية. إن الطبقة الحاكمة التي وصلت للمجد والجاه

^١ תקופת ארבעת החלפים הראשונים "אלחליפא אלאראשדון", מאמר בספר פרקים בתולדות הערבים והאסלם, בעריכת חוה לצרוס - יפה, הוצאת רשפים ספרים, ה'תש"ב, 1981, עמ' 108-109; ראה גם: חוראני, אלברט, היסטוריה של העמים הערבים, בעריכת יהושע פרנקל, דביר, ת"ל 1996, עמ' 61-62.

² המזרח הערבי, מה"כ 3, ספירת מעלים, ת"א 1960, עמ' 190-191.

ما لبثت أن أدت لإضعاف الدولة، حيث حاول حكام الولايات المختلفة الاستيلاء على كرسي العرش، وتعاملوا في أقاليمهم كحكام مستقلوا بولاياتهم. هكذا كانت الأوضاع الداخلية مشابهة وإلى حد كبير للقيصرية البيزنطية".

أما دزموند ستيورت^٣ فيرى أن هذه الشعوب عانت في ظل الإمبراطورية البيزنطية من أعباء الضرائب لسد تكاليف الحروب، نتيجة الصدام العنيف بين الإمبراطورية البيزنطية والفارسية، الأمر الذي جعل تلك الشعوب تنتظر للعرب كمحررين لهم وليسوا محتلين، وهو ما حدا بكثير منهم للانضمام للجيش العربي.

ويرى شموئيل سفرائي^٤ أن الإمبراطورية البيزنطية قد عانت في نهاية عهدها من حركات تحرر واستقلال أضعفتها، وأنها لم تكن لتتنبه لهذه الحركات نتيجة حروبها الطاحنة ضد الإمبراطورية الفارسية. الأمر الذي أدى لتصاعد آمال الخلاص من الحكم البيزنطي وهو ما تجلّى حين استطاع الفرس احتلال بلاد الشام.

٢) أحوال الشام ومصر عند الفتح في ضوء المصادر الإسلامية:

تجمع معظم مصادر التاريخ الإسلامي التي تناولت الفتح العربي على أن بلاد الشام ومصر كانتا تخضعان سياسياً للإمبراطورية البيزنطية، فمنذ انتصار الإمبراطور البيزنطي هرقل على الفرس عام ٦٢٢ م، أصبح الإشراف البيزنطي كاملاً على بلاد الشام ومصر، وقام البيزنطيون بتقسيمها أقساماً عرفت باسم الثيمات Themata ووضعوا فيها الحاميات، وهو ما عرفه العرب فيما بعد باسم الأجناد^٥. ولكي تحمي الإمبراطورية البيزنطية نفسها من غارات القبائل البدوية على أطرافها، قامت بخطوة فعالة حيث سمحت بقيام مملكة عربية جنوب الشام أسسها الغساسنة الذين هاجروا من اليمن بعد انهيار سد مأرب ودخلت تلك المملكة في دائرة النفوذ السياسي البيزنطي، وغدت رقيباً من قبل بيزنطة على حركات البدو

^٣ الحاسلوم الكدوم، التكمومات، الحذولوت بهيستوريا شل تربيةوت العولم، سפרית מערב، 1977، עמ' 55.

^٤ تولדות עם ישראל، כרך שני، בעריכת: בן ששון، ח. ה. הוצאת דביר، תל אביב 1969، עמ' 348.

^٥ أوام، الإمبراطورية البيزنطية، ت. طه بدر، القاهرة ١٩٥٣، ص ١٣١ - ١٣٢.

وحاجزا لصد تيار هجماتهم^٦. وقد أطلقت المصادر العربية عليهم اسم " روم العرب " نظرا لتحالفهم مع البيزنطيين^٧.

كانت أحوال أهل الشام بوجه عام سيئة في ظل الحكم البيزنطي ، يدل على ذلك ما ذكره البلاذري^٨ عند فتح حمص على لسان أحد سكانها حين تم الفتح الإسلامي لها فيقول " جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم فقال أهل حمص لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم ونهض اليهود فقالوا والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب ونجهد فأغلقوا الأبواب وحرسوها".

كما كانت أحوال المصريين هي الأخرى سيئة للغاية بوجه عام في ظل حكم هذه الإمبراطورية ؛ فقد كانت الحالة الاقتصادية سيئة بسبب أعباء الضرائب من ناحية والتمادي في نظام الوظائف الإلزامية غير المأجورة من ناحية أخرى. وأدى ذلك إلى فرار كثير من الفلاحين من أراضيهم حتى كادت تختفى في القرن السادس للميلاد طبقة صغار المزارعين . وأدى تناقص هذه الطبقة إلى استيلاء كبار الملاك على أراضيهم الأمر الذي أدى إلى خلل كبير في ميزان القوى الاجتماعية ، فضلا عن عجز الحكومة عن مواجهة نفوذ كبار الملاك الزراعيين.

وزاد من متاعب المصريين أن الرومان اعتبروهم دائما الطبقة السفلى في المجتمع التي تأتي بعد الرومان واليونان واليهود، ففرضوا عليهم أشد الالتزامات قسوة كالضرائب، وفي الوقت نفسه حرموهم من أبسط الحقوق الاجتماعية، فحُرم

^٦ العدوي: الإمبراطورية البيزنطية ، إبراهيم ، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ١٩٤١.

^٧ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ١ ، ط ١ ، دار الكتب ، بيروت ١٩٨٦م ، ج ٢ ، ص ٣٣٩.

^٨ فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٢م ، ج ١ ، ص ١٤٣.

المصريون من الخدمة في جيشهم^٩، ومع ذلك ظل المصريون متمسكين بقدر كبير من عاداتهم ونظمهم وثقافتهم القديمة^{١٠}.

وقد فرح المصريون بثورة هرقل عام ٦٠٨م ضد الإمبراطور فوكاس (٦٠٢-٦١٠م) وساعدوا قائده نيقاتاس الذي وكل إليه الاستيلاء على مصر لقطع القمح عن القسطنطينية، وفرح الشعب أيضاً عندما تم تتويج هرقل إمبراطوراً في عام ٦١٠م ورحبوا بمقدم جنوده، ولعل المصريين كانوا يعتقدون أن حكم هرقل سيكون أخف وطأة من حكم من سبقه من الأباطرة وأنه سيكون خاتمة للاضطهاد وسفك الدماء^{١١}.

لقد اعتبرت مصر مخزناً لمد روما ثم بيزنطة بالغلل، كما كان على شعب مصر أن يكدح لخدمة هؤلاء المستعمرين، ويدفع أكثر مما يعود عليه من الأرض، ضرائب وأتاوات، كضريبة الرأس والأملك العقارية، والتجارة وضريبة على كل من يدخل مصر أو يتنقل فيها، وضرائب على المهن، وضريبة لشراء تاج كل حاكم جديد^{١٢}. لقد شكل المصريون الطبقة الدنيا داخل بلدهم، ولم ينعموا في ظل هذا الحكم سواء كان السبب اقتصادي متمثل كما أوردنا في الضرائب الباهظة، أو لسبب ديني وهو الاضطهاد الديني نتيجة الانقسام حول طبيعة المسيح، لذلك قاموا بمساعدة العرب أملاً في وضع أفضل، حتى إذا لم يكن أفضل، فلم يكن أسوأ من الوضع الذي كانوا عليه بالفعل^{١٣}.

ولم يقف الأمر عند الأوضاع الاقتصادية كما أوردنا، بل تعداه للجانب العقائدي في حياة كل من الشاميين والمصريين؛ فرغم أن أهل الشام ومصر اعتنقا

^٩ كاشف، سيدة إسماعيل: مصر في فجر الإسلام - من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، القاهرة ١٩٧٠، ص ١١.

^{١٠} الرافعي، عبد الرحمن، عاشور، سعيد عبد الفتاح: مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، القاهرة ٢٠٠٠، ص ٢٠.

^{١١} كاشف، سيدة إسماعيل، ص ١٥؛ بل، هـ. أيدرس: مصر من الأسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، عربيه. د. عبد اللطيف أحمد على، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٨، ص ١٩٢.

^{١٢} عبد البادي، جمال: فتح مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٩، ص ١٤-١٥.

^{١٣} رمضان، هويدا عبد العظيم: المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩، ص ٨٣.

المسيحية منذ وقت مبكر، وأصبحت هذه الديانة هي الديانة الرسمية للإمبراطورية البيزنطية منذ عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (٣٧٩ - ٣٩٥م)، إلا أن الشاميين والمصريين عانوا طويلاً من اضطهاد الأباطرة البيزنطيين لهم، ومرجع ذلك النزاع الديني الذي نشب بين كنيسة الإسكندرية المصرية وكنيسة القسطنطينية حول طبيعة المسيح. فعلى حين ذهبت الكنيسة المصرية إلى الإيمان بوجود طبيعة واحدة للمسيح (المذهب المونوفيزيتي) وهي الطبيعة الإلهية، أقرت كنيسة القسطنطينية بوجود طبيعتين للمسيح، واحدة إلهية وأخرى بشرية. وقد رفض المصريون قرارات مجمع خلقدونية عام ٤٥١م التي أقرت مذهب الطبيعتين وأطلقوا على أنفسهم اسم " الأرثوذكسيين " أى أتباع الديانة الصحيحة^{١٤}.

وقد حاول الإمبراطور البيزنطي هرقل فرض هذا المذهب بالقوة على الشاميين والمصريين، ففي الشام قام باضطهاد وتعذيب كل من حاول مخالفة هذا المذهب^{١٥}. وفي مصر أسند الإمبراطور هرقل الرئاسة الدينية والسياسية لأحد أتباعه ويدعى قيرس، والذي يعرف عند العرب باسم المقوقس وكانت مهمة الأخير إجبار المصريين على التخلي عن المذهب المونوفيزيتي، لذلك قام المقوقس باضطهاد المصريين مما اضطر بطريرك الأقباط بنيامين للفرار من الإسكندرية إلى الصعيد بعد أن طلب من القساوسة وأتباعه الصمود والتمسك بمذهبهم^{١٦}. وبذلك قطع سيف قيرس آخر ما كان يربط المصريين بالدولة البيزنطية^{١٧}.

وبذلك أكدت المصادر الإسلامية على الوضع الذي آلت إليه أوضاع أهل الشام ومصر عشية الفتح الإسلامي من تردي، فناهيك عن الاحتلال العسكري للبيزنطيين، تم تهمة الشاميين والمصريين سياسياً وعانوا من مساوئ النظام الاقتصادي، وقبعوا في ذيل الهرم الطبقي اجتماعياً، وقاسوا مرارة الاضطهاد عقائدياً وبالجمل كانت الساحة مهتأة لوافد جديد ربما يتم الخلاص على يديه.

هكذا اتفق المؤرخين اليهود بوجه عام في روايتهم عن الأوضاع العامة قبل الفتح على تعدد عوامل انهيار أوضاع أهل الشام ومصر مع رواية المصادر

^{١٤} كاشف، سيدة اسماعيل: المرجع السابق، ص ٦.

^{١٥} العدوى: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٤.

^{١٦} ابن المقفع، ساويرس: سير آباء البطارقة، ج ١، باريس ١٩٠٧، ص ٢٢٦.

^{١٧} كاشف، سيدة اسماعيل: المرجع السابق، ص ٧.

الإسلامية. وإن اختلفوا في الاتجاهات الخاصة بكل منهم، ففي حين تؤكد زولاشك على الطبقية واختلاف اللغة والاضطهاد الديني، أكد أهارون على الضعف الذي أصاب أرجاء الإمبراطورية من الداخل نتيجة حروبها، وكذلك العامل الاقتصادي بما تضمنه من فرض ضرائب باهظة والاضطهاد الديني. واهتم دزمون بالضرائب واعتبرها سبباً رئيسياً في الانهيار، وعول سفرائي على الحروب الطاحنة وأثرها على الشعوب في تصاعد آمال الخلاص.

ثانياً: أسباب فتح الشام ومصر

٢) أسباب الفتح من وجهة النظر اليهودية:

يقول أهارون كاهين^{١٨}: "من المعروف أن السبب الرئيسي للاحتلال العربى والتوسع خارج الجزيرة صوب آسيا وسواحل البحر المتوسط هو غيرة المسلمين الدينية وسعيهم لتطهير العالم ونشر الإسلام، لكن المحلل للأحداث يجدها تتطوى على نتائج أخرى هامة. إن هجمات القبائل العربية على البلاد المتاخمة بدأت فعلياً قبل ظهور الإسلام وبوقت طويل. وكان الهدف الرئيسي هو السلب والنهب، كما لم تتسم بأية توجهات أيديولوجية. لقد كانت هجمات القبائل العربية على البلدان المجاورة مجرد هجمات لقبائل ضعيفة دون أية مبررات أيديولوجية. أما الإسلام فقد منح هذه القبائل العربية الوحدة والتنظيم السياسى، وجعل من هجومهم المتمثل فى حرب العصابات هجوماً منظماً قوياً لحد كبير. على الجانب الآخر لا يمكن أن نغفل حقيقة هامة ألا وهى أن ما دفع المسلمين لاجتياح العالم الخارجى هو تدهور نظام الحكم داخل الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية وضعفهما الداخلى. والحقيقة إن الهجمات العربية صوب الشمال تحت راية الإسلام قد بدأت فعلياً فى وقت لم يكن المسلمون قد استوعبوا الدين الإسلامى كاملاً، وبالتالي كانوا غير قادرين على تقديم الدين الجديد لهذه البلدان الجديدة. إن الإسلام لم يكن قادراً على مجابهة الديانات التوحيدية الكبرى كالمسيحية واليهودية الأكثر انتشاراً. وتؤكد النظرة المتألمة للأحداث على أهمية الأسباب الاقتصادية والاجتماعية داخل شبه الجزيرة العربية، والتي دفعت العرب لغزو المناطق المجاورة. لقد أدت الأزمة الاقتصادية التى ضربت الجزيرة عشية الغزو، إلى تجمد حركة التجارة، تدهور أوضاع السكان، قلة

^{١٨} المزمرة العربى، عم' ١٨٧ : ١٨٩.

الأراضي الزراعية أو الصالحة للزراعة، الاستغلال المبالغ فيه من جانب التجار، أرباب الأعمال، وأصف لذلك ازدياد أعمال الربا، ثم يعطينا نموذجاً للأهداف الاقتصادية بدعوة أبو بكر لأهل الحجاز للتطوع للحرب على دمشق، حيث تقدم التطوعين من أجل المغنم الاقتصادية المتوقعة من هذه البلدان الغنية الخاضعة للفرس والبيزنطيين. إن الإسلام الذي رفع راية الصدق والإخلاص والمساواة ونشر آمال جديدة في قلوب جموع الضعفاء والبائسين الذين دخلوه، اصطدم كأي فكر جديد بمعارضة تمثلت في الصفوة الاجتماعية وخاصة رجال القبائل الذين امتنعوا عن دفع الزكاة، إلا بحد السيف". كما يؤكد كاهين^{١٩} على أن الغزو الإسلامي بدأ على عهد محمد حينما قُتل مبعوث محمد إلى الغساسنة في مؤته، فأرسل محمد جيشاً لمعاقتهم^{٢٠}.

ويوجز دزموند ستيورت^{٢١} أسباب الفتح قائلاً: "لا يمكننا اعتبار الدين الدافع الوحيد للتوسع الإسلامي، بل كانت هناك محركات أخرى أهمها الدافع الاقتصادي، حيث عانت الجزيرة العربية نقص مصادر العيش، فلم تكن الجزيرة أبداً بقادرة على توفير الطعام الكافي لسكانها، وكان هذا النقص الدائم لمصادر العيش محركاً لأجيال سابقة من العرب على مهاجمة الممالك العربية على الحدود. سبب آخر دفع المسلمون لهذه الخطوة ألا وهو الصدام العنيف بين الإمبراطورية البيزنطية والفارسية، الذي أضعفهما وجعلهما يغيضان الطرف عن القوى الإسلامية الناشئة. سبب أخير يتمثل في امتلاك المسلمين لقواد عسكريين بارعين مهرة على دراية بفنون القتال أمثال عمرو بن العاص".

تؤكد زولشك^{٢٢} على الضعف الذي أصاب الإمبراطوريتين نتيجة الحروب الطاحنة بينهما فيقول: "ومما سهل على المسلمين احتلال بلاد الشام ضعف الإمبراطورية الفارسية نتيجة ضعف حاكمها الملك خسرو الثاني (٥٧٩ - ٥٩١م)، والذي لم يحافظ على مملكة والده الملك خسرو الأول. وما أن توفي خسرو الثاني حتى دبّت الفوضى السياسية في أرجاء الإمبراطورية، وازداد الأمر سوء حينما

^{١٩} המזרח הערבי, למי' 187 : 189.

²⁰ אותו ספר, עמ' 189.

²¹ האסלם הקדום, עמ' 55.

²² תקופת ארבעת החליפים הראשונים, עמ' 107.

تحكم الكهنة وحكام الأقاليم في منصب الملك وأصبح من اختصاصهم تعيين من يروونه يناسب أهدافهم ومصالحهم".

ويرى البرت حوراني²³ أن أسباب الاحتلال الإسلامي متنوعة فيقول: "لقد أصبحت القبائل العربية قوية ومنظمة، وحظت بأفضلية كبرى عبر استخدام الجمال في معاركها التي دارت بعد وفاة محمد، أضف لذلك الفرص الاقتصادية في البلدان الجديدة خلقت بينهم جماعات نفعية متحمسة لنيل نصيبها من المغام، وهو ما منح الغزو قوة إضافية. أضف لذلك الضعف الذي عانت منه الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية.

أما شموئيل سفرائي²⁴ فقد أكد أيضاً على الضعف الذي مزق أوصال الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية نتيجة الحروب من جانب، والصراعات الدينية من جانب آخر، ثم يعرج للحديث عن وضع اليهود كنموذج للجماعات الخاضعة لهذه القوى فيقول: "انتظر اليهود سقوط مملكة الشر، لكنهم في الواقع لم يعلقوا أملاً كبيرة على اقتراب المسلمين أو انتصارهم، فلم يكن من شأن المسلمين أن يعيدوا فلسطين لليهود، بل كانوا كالبيزنطيين هدفهم الأساسي الحكم الكامل. وإذا افترضنا أن أسس العقيدة الإسلامية بالنسبة للطوائف غير المسلمة مريحة لحد ما، فإنه لم تصلنا معلومات مؤكدة عن مساندة اليهود للمسلمين في هجماتهم، كما لم يصلنا ما يؤكد وجود علاقة خاصة بين الحكام العرب واليهود".

هكذا تنوعت آراء المؤرخين اليهود في رؤيتهم لأسباب الفتح الإسلامي بين سياسي مفاده ضعف الإمبراطورية البيزنطية والفارسية نتيجة الحروب الطاحنة فيما بينهم، واقتصادي مفاده الفوز بالغنائم والانتشار والسيطرة على أماكن جديدة تحقق مطامعهم وتلبى حاجاتهم نتيجة فقر الجزيرة وعدم وفائها بمتطلباتهم، وأكد بعضهم على قوة المسلمين وظهور قادة محنكين أمثال عمرو بن العاص، لكنهم أجمعوا في النهاية على تهميش دور الإسلام، والعمل على نشره كعامل أساسي ورئيس في الفتح.

²³ היסטוריה של העמים הערביים, עמ' 62.

²⁴ תולדות עם ישראל, עמ' 349.

(١) أسباب فتح الشام ومصر فى ضوء المصادر الإسلامية:

من جانب آخر أمدتنا المصادر الإسلامية بأخبار الفتح، وأكد المؤرخون على تنوع الأسباب التى حدثت بالمسلمين للتفكير فى فتح بلاد الشام ومصر. من نافلة القول أن عمليات فتح الشام بدأت منذ فترة مبكرة وتحديدًا عهد النبى (ص)، فبعد مقتل الرسول الذى بعثه النبى للغساسنة للتبليغ بالدعوة لم يكن النبى ليقف ساكنًا أمام ما حدث، وإنما عول على إتباع دعوته السلمية إلى الإسلام فى الجهات التى لم ترع حرمة مبعوثه بالقيام بمشروعات حربية كانت بطبيعتها محدودة فى البداية لقلّة عدد المسلمين وقتها^{٢٥}.

واستمر الأمر فى عهد أبو بكر الذى سار على نهج النبى (ص) فى مواصلة الفتح ونشر رسالة الإسلام فى العالم، ولم يكن الهدف الاقتصادي هو المحرك الفاعل فى هذا الأمر بل كان هدفًا مكملًا له، بمعنى أن السلطة الإسلامية فى تلك الفترة ومع قلة عدد المسلمين كانت بحاجة لتكاتف كل القوى من أجل تحقيق الهدف الأسمى فى فتح البلاد غير المسلمة ونشر الإسلام بها، لذلك لم تجد غضاضة فى التلويح بالمغانم الاقتصادية لأولئك الذين تجذبهم هذه الناحية، وظهر ذلك فى رواية البلاذرى^{٢٦} التى تصف ما فعله أبو بكر حين أراد تجميع جيش للمسير لفتح دمشق فيقول " ووجه إلى الشام مع من انتدب لغزو الروم من المسلمين قالوا لما فرغ أبو بكر رضي الله عنه من أمر أهل الردة رأى توجيه الجيوش إلى الشام فكتب إلى أهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم فسارع الناس إليه من بين محتسب وطامع وأتوا المدينة من كل أوب".

ولا تنكر المصادر الإسلامية وجود الدافع الاقتصادي لدى بعض من خرجوا للقتال مع الجيوش الإسلامية، لكن ذلك لم يكن الهدف الرئيسي. لقد كان الهدف الأساسي للفتوحات هو نشر الإسلام، ومثال ذلك ما ذكره الواقدي^{٢٧} فى وصف حديث معاوية مع أهل الحجاز حين طلب منهم العودة إن استعصت عليهم بعض المناطق فى الشام " فلما سمع أبو عبيدة بعظم الجيوش والعساكر عظم عليه وكبر

^{٢٥} العدوى: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٦.

^{٢٦} فتوح البلدان، ج ١، ص ١١٥.

^{٢٧} فتوح الشام ج ١، دار النيل، بيروت (د.ت)، ص ١٦٤.

لديه وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وبأنت قلقلنا لم تغمض له عين خوفا
 على المسلمين فلما طلع الفجر أذن فصلى بالمسلمين فلما فرغ من صلاته أقسم على
 المسلمين أن لا يبرحوا حتى يسمعوا ما يقول ثم قلم فيهم خطيبا وحمد الله تعالى
 وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم وترحم على أبي بكر الصديق رضي
 الله عنه ودعا للمسلمين بالنصر وقال يا معاشر المسلمين اعلموا رحمكم الله ان الله
 ابتلاكُم ببلاء حسن لينظر كيف تعملون وذلك عندما صدقكم الوعد وأيدكم بالنصر
 في مواطن كثيرة واعلموا أن عيوني أخبروني أن عدو الله هرقل استجد علينا من
 كبار بلاد الشرك وقد سيرهم إليكم وأنقلهم بالزاد والأسلح يريدون ليطفنوا نور الله
 بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون واعلموا أنهم قد ساروا إليكم في طرق
 مختلفة ووعدهم طاغيتهم أن يجتمعوا بإزائكم على هالككم واعلموا أن الله معكم وليس
 بكثير من يخذله الله تعالى وليس بقليل من يكون الله تعالى معه فما عندكم من الرأي
 رحمكم الله تعالى ثم قال لبعض عيونه قم وأخبر المسلمين بما رأيت فقام الرجل
 وأخبر الناس بما رأى من الجيوش الثقيلة وعددها وعديدها فعظم ذلك على المسلمين
 ودخل قلوب رجال منهم الهيبة والجزع وجعل بعضهم ينظر الى بعض ولم يرد أحد
 منهم جوابا فقال أبو عبيدة رضي الله عنه ما هذا السكوت عن جوابي رحمكم الله
 فأشيروا على أيديكم فان الله عز وجل يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
 وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله فتكلم رجل من أهل السبق وقال
 أيها الأمير أنت رجل لك رفعة ومكان وقد نزلت فيك آية من القرآن وأنت الذي
 جعلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أمين هذه الأمة فقال عليه السلام لكل أمة أمين
 وأمين هذه الأمة أبو عبيدة رضي الله عنه عامر بن الجراح أشرك أنت علينا بما يكون
 فيه الصلاح للمسلمين فقال الأمين أبو عبيدة رضي الله عنه إنما أنا رجل منكم
 تقولون وأقول وتشيرون وأشير والله الموفق في ذلك فقام إليه رجل من أهل اليمن
 وقال أيها الأمير الذي نشير به عليك أن تسير من مكانك وتنزل في فرجة من وادي
 القرى فيكون المسلمون قريبا من المدينة والنجدة تصل إلينا من الخليفة عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه وإذا طلب القوم أثرنا وأقبلوا إلينا كنا عليهم ظاهرين فقال
 الأمير أبو عبيدة رضي الله عنه اجلسوا رحمكم الله فقد أشركم بما عندكم من الرأي
 وإني أن برحت من موضعي هذا كره لي عمر بن الخطاب ذلك وأخذ يعنفني ويقول
 تركت مدائن فتحها الله على يدك ونزحت عنها وكان ذلك هزيمة منك ثم قال
 أشيروا علي برأيكم رحمكم الله تعالى فقام إليه قيس بن هبيرة المرادي وقال يا أمير

المؤمنين لا ردنا الله الى أهلنا سالمين إن خرجنا من الشام وكيف ندع هذه الأنهار المتفجرة والزروع والأعاب والذهب و لفضة والديباج ونرجع الى قحط الحجاز وجد به وأكل خبز الشعير ولباس الصوف ونحن في مثل هذا العيش الرغد فان قتلنا فالجنة وأن عدنا نكون في نعيم لا يشبه نعيم الدنيا فقال أبو عبيدة رضي الله عنه صدق والله قيس بن هبيرة وبالحق نطق ثم قال يا معاشر المسلمين أترجعون الى بلاد الحجاز والمدينة وتدعون لهؤلاء الاعلاج قصورا وحصونا وبساتين وأنهارا وطعاما وشرابا وذهبا وفضة ما لكم مع ما لكم عند الله عز وجل في دار البقاء من حسن الطعام ولقد صدق قيس بن هبيرة في قوله لنا ولسنا ببارحين منزلنا هذا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين".

هكذا، يتضح أن نشر الإسلام كان الهدف الرئيسي ، وهذا لا يمنع أن يكون تحسين الأحوال هدفاً ثانوياً، نتيجة ما آلت إليه أوضاع المسلمين بالجزيرة العربية. أما عن فتح مصر فقد اختلفت المصادر الإسلامية في حديثها عن أسباب تفكير المسلمين في هذا الفتح ، فيقول البلاذري^{٢٨} أن فكرة الفتح كانت آتية من عمرو بن العاص وحده دون أمر من الخليفة عمر بن الخطاب ، وأن الأخير كتب إليه يأمره بالرجوع إلا إذا كان قد دخل أرض مصر ، لكن عمرو لم يلق بالآ إلى أوامر الخليفة واجتاز الحدود المصرية ليضع الخليفة أمام الأمر الواقع ، حيث يقول: "وكان عمرو بن العاص حاصر قيسارية بعد انصراف الناس من حرب اليرموك ثم استخلف عليها ابنه حين ولى يزيد بن أبي سفيان ومضى إلى مصر من تلقاء نفسه في ثلاثة آلاف وخمسمائة فغضب عمر لذلك وكتب إليه يوبخه ويعنفه على افتتانه عليه برأيه وأمره بالرجوع إلى موضعه إن وافاه كتابه دون مصر فورد الكتاب عليه وهو بالعريش". لكن هناك مصادر أخرى رأيت ما يخالف ذلك ، حيث أوردت نصاً يأمر فيه الخليفة عمر بن الخطاب قائده عمرو بن العاص بالتوجه بعسكره إلى مصر بمجرد قراءة كتابه. أى أن فتح مصر كان بتخطيط من الخلافة، فيقول الواقدي^{٢٩}: "ومن الغد أتى خالد بن الوليد من طرابلس فقرأ عليه الكتاب وأنفذه إلى عمرو بن العاص أرسل يحثه على المسير إلى أرض مصر، فلما وصل إلى عمرو أخذ على نفسه بالمسير وسار معه يزيد بن أبي سفيان وعامر بن ربيعة العامري

^{٢٨} فتوح البلدان ، ص ٢١٤ ؛ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، القاهرة ١٩١٤ ، ص ٥٦٦ .

^{٢٩} فتوح الشام ، ص ٣٣١ ؛ ابن اسحق ، فتوح مصر وأعمالها ، القاهرة ١٢٧٥ هـ ، ص ٤ .

وجماعة من الصحابة وسار معه أربعة آلاف من أصحابه وقد وهبوا أنفسهم لله ورسوله فسار عمرو على البيداء من وراء العريش قال، وكانت أرض مصر وريفها عامرة بالديور والصوامع".

فى حين أن هناك رواية ثالثة تجمع بين الأمرين، حيث تذكر أن عمرو كان صاحب الفكرة وأنه عرض الأمر على عمر وأوضح له أنها أكثر الأرض أموالاً.. وأنها إن فتحت كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم، فإذن له بالمسير. يقول ابن تغرى بردى^{٦٠}: "لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية قام إليه عمرو بن العاص رضي الله عنه فخلا به وقال يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أسير إلى مصر وحرضه عليها وقال إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم وهي أكثر الأرض أموالاً وأعجزها عن القتال والحرب فتخوف عمر بن الخطاب على المسلمين وكره ذلك فلم يزل عمرو يعظم أمرها عنده ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن إليه عمر وعقد له على أربعة آلاف رجل، وقال له عمر سر وأنا مستخير الله في مسيرك وسيأتيك كتابي سريعاً إن شاء الله تعالى فإن أدركك كتابي أمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستصره فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس فاستخار عمر وكتبه يتخوف على المسلمين بالرجوع فأدرك الكتاب عمراً وهو برفح فتخوف عمرو إن هو أخذ الكتاب وفتحته أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش فسأل عنها فقيل إنها من أرض مصر فدعا بالكتاب وقرأه على المسلمين فقال عمرو لمن معه أستم تعلمون أن هذه القرية من أرض مصر قالوا بلى قال فإن أمير المؤمنين عهد إلي وأمرني إن لحقني كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا أرض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله".

ويبدو من تلك الرواية أن الخليفة عمر كان متردداً في فتح مصر، ربما خوفاً من فتح جبهة جديدة للمسلمين الذين كانوا يقاتلون في جبهتين أخريين هما العراق والشام وما يترتب على ذلك من توزيع قوى الجيش الإسلامي، لكنه مع ذلك أبدى موافقته عندما أدرك مدى الخطر الذي يتعرض له المسلمون في الشام إذا ظلت

^{٦٠} النجوم الزاهرة، ج ١، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة (د.ت)، ص ٥ - ٦.

مصر بأيدي البيزنطيين^{٣١}. كما يتضح من الروايات الثلاثة ان الهدف من فتح مصر كان بالأساس نشر الإسلام ومنحه قوة إضافية بفتح مصر، أضف لهذا الدافع دافع آخر تمثل في حماية الشام من الهجمات البيزنطية الموجه من مصر البيزنطية. وخلاصة هذه الروايات أن أسباب فتح مصر كانت متعددة ويمكنها أن تتوافق مع بعضها البعض؛ فهناك الطموح الشخصي لعمر بن العاص في استمرار فتوحاته. وضرورة الفتح للقضاء على كل محاولة بيزنطية لاستعادة بلاد الشام، حيث كان على العرب أن يعملوا ألف حساب لرد فعل يأتي من الجيوش البيزنطية في مصر، خصوصاً وأن بعض قوات فلسطين كانت قد انسحبت إليها^{٣٢}. بجانب استغلال موارد مصر البشرية والاقتصادية في استكمال عمليات الفتوح الإسلامية في العالم.

والحقيقة أنه رغم الاختلاف حول فتح مصر أكان صلحاً أم عنوة، فالواقع أن المصريين قد عوملوا على أساس أن بلادهم فتحت صلحاً بما في ذلك الإسكندرية التي نقضت معاهدة الصلح الأولى، وبعض القرى القريبة التي حاربت المسلمين، وتم ذلك بتوجيه من الخليفة العظيم عمر بن الخطاب. وثمة أحاديث كثيرة منسوبة إلى الرسول توصي بالقبط خيراً عند فتح مصر لأن "لهم ذمة ورحماً" وأن منهم "أحوال العرب"، وأنهم سيعينون المسلمين عند فتحهم البلاد وما إلى ذلك. ومهما كان نصيب هذه الأحاديث من الصحة فإن تأثيرها ظهر في تصرفات المسلمين أثناء الفتح وبعده تجاه أهل البلاد حينذاك، ويؤكد ذلك ما جاء في خطبة لعمر بن العاص غداة الفتح مخاطباً جنوده ".....واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيراً". لقد التزم عمرو بن العاص بمبدأ الحرية العقديّة بدقة، وكانت العدالة تميز سلوكه تجاه أهل الذمة جميعاً، ويرى بعض الباحثين أن أحوال القبط آنذاك خيراً منها تحت حكم البيزنطيين. وبديهي أن اليهود لاقوا نفس المعاملة، فقد كان أحد شروط الاستسلام

³¹ الرافعي، عبد الرحمن؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح: مصر في العصور الوسطى، ص ١٩.

³² فيصل، شكرى: حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، القاهرة ١٩٥٢، ص ٨٤؛ ماجد، عبد المنعم، التاريخ السياسي للدولة العربية: عصور الجاهلية والنبوة والخلفاء الراشدين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٢م، ص ٢١٦.

مدينة الإسكندرية أن يبقى اليهود بالمدينة ، وكان عددهم حوالي أربعين ألفاً عليهم الجزية، بينما كان عددهم قبل الفتح حوالي سبعين ألفاً^{٣٢}.

بهذا نجد أن المؤرخين اليهود قد زيفوا حقائق أسباب الفتح، وانتقوا ما يحلوا لهم من المصادر الإسلامية، وأكدوا فقط على ما وجدوه من سلبات وتناسوا كل إيجابيات الإسلام، وادعوا أن الإسلام انتشر فقط لأن المسلمين كانوا راغبين فى مزيد من الثروات والغنائم، ومن أجل مطامع اقتصادية وعضوا الطرف عن الهدف الرئيسى وهو نشر الإسلام، كما ادعوا ان المسلمين لم يكونوا على قدر كافى من استيعاب الإسلام، هذا بالإضافة لرأى بعضهم المضلل أمثال كاهن الذى رأى أن الإسلام كان غير قادر على مجابهة الأديان السماوية الأخرى. ولكنى أسوق هنا الدليل على قدرة الإسلام على مجابهة المسيحية واليهودية. هكذا وقف اليهود فى الشام لجوار المسلمين ضد البيزنطيين، يقول البلاذرى^{٣٣}: " نهض اليهود فقالوا والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن تغلب ونجهد فأغلقوا الأبواب وحرسوها". أما القبط أهل مصر، فإنهم عاونوا المسلمين على فتح مصر متناسين أن المسلمين بالنسبة لهم غزاة، يقول ابن عبد الحكم^{٣٤}: " فخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم الطرق وأقاموا لهم الجسور والأسواق. وصارت لهم القبط أعواناً على ما أرادوا من قتال الروم". هكذا استطاع الإسلام والمسلمين استيعاب اليهود فى بلاد الشام، والقبط فى مصر، وتحويل نظرهم للمسلمين من غزاة إلى مناصرين أو كما قال اليهود مخلصين.

^{٣٢} قاسم، عبد قاسم: أهل النمة فى مصر من الفتح الإسلامى حتى نهاية المماليك، دراسة وثائقية،

دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (القاهرة ٢٠٠٣م)، ص ٣٠.

^{٣٤} فتوح البلدان، ج١، ص ١٤٣.

^{٣٥} فتوح مصر، ص ٦٦.

ثالثاً: وقائع فتح الشام ومصر

وقائع الفتح من وجهة النظر اليهودية:

(١) بلاد الشام:

تقول زولشك^{٣٦}: "لقد أظهر المسلمون اهتماماً مبكراً بفتح بلاد الشام منذ عهد محمد، حين أرسل جيشاً نحو أطراف الشام لقتال البيزنطيين، لكن التجربة كانت فاشلة حيث هُزم المسلمون في غزوة مؤتة عام ٦٢٩م". وعن عهد الخليفة أبو بكر يقول كاهن^{٣٧}: "ثم تواصلت عمليات الفتح في عهد الخليفة أبي بكر الصديق حين أرسل من جديد بعض الجيوش نحو بلاد الشام عام ٦٣٣م. وقد انضم للقوات التي كونها محمد كثير من المؤسسات الضعيفة في الجزيرة ممن انجذبوا وراء الغنائم المنتظرة من فتح هذه المناطق الغنية الخاضعة لبيزنطة وفارس. وفي أبريل من عام ٦٣٤م اندفعت القوات العربية المسلمة إلى مؤاب والنقب".

تستطرد زولشك قائلة^{٣٨}: "أرسل أبو بكر ثلاثة من قواده لثلاث مناطق مختلفة، بقصد أن يصبح كل منهم حاكماً للمنطقة التي سيفتحها؛ فأرسل شرحبيل بن حسنة يعاونه أبو عبيدة بن الجراح صوب الأردن، عمرو بن العاص جنوب فلسطين، يزيد بن أبي سفيان تجاه سوريا. وكان عمرو بن العاص أول المصطدمين بالقوات البيزنطية الصغرى التي كانت تعسكر بجوار غزة ووادي عربة. وقد سقطت هذه القوات أمام المسلمين في معارك تعتبر معارك هامشية. حينما اقتنع القيصر البيزنطي هيركليس بخطورة الموقف، وجديّة الزحف الإسلامي، أرسل جيشاً كبيراً تحت قيادة أخيه وحاكم فلسطين صوب الأردن. تحركت القوات العربية المسلمة تجاه الأردن، وأرسلوا للخليفة طلباً للدعم. عين الخليفة أبو بكر خالد بن الوليد عامله على العراق لمساندة المقاتلين في فلسطين. نظم خالد حملته الشهيرة تاريخياً، فشق الصحراء السورية ووصل مع جيشه لدمشق خلال ١٨ يوم، اندلعت المعركة في أبريل من عام ٦٣٤م انتصر فيها المسلمون بجوار دمشق في مرج رهيط، استكمل خالد طريقه بعد النصر جنوباً، دون محاولة فتح دمشق ذاتها. تمركزت القوات بجوار أجنادين بين رملته وجبرين. وهناك دارت معركة انتصر

^{٣٦} תקופת ארבעת החליפים، עמ' 108.

^{٣٧} המזרח הערבי، עמ' 189-190.

^{٣٨} תקופת ארבעת החליפים، עמ' 109-110.

فيها المسلمون وخضعت فلسطين عدا قيصرية والقدس. وتذكر المصادر العربية أن الخليفة قام بعزل خالد لأنه فتح دمشق، ويبدو أنها معلومة غير حقيقية. فقد تم عزله بعد ذلك، لأن عمرو هو من قام باحتلال دمشق. على أية حال لم ينل عمرو حكم المنطقة التي فتحها، وعين أبو عبيدة بن الجراح بدلاً عنه. اصطدمت القوات العربية المسلمة شمالاً أثناء تقدمها بقلوب كتائب بيزنطية حاولت حصارها، لكن هذه المحاولات (مثل فتح السدود بجوار بيسان، وإحراق بعض المراكز) قد فشلت. كما اضطر البيزنطيون للاستسلام في معركة أخرى في بحل عبر الأردن".

وعن استكمال العمليات الحربية بعد وفاة أبو بكر يقول دزموند³⁹: "لم يشعر أبو بكر بحلاوة النصر حيث أصيب بالحمى ومات، وتولى عمر بن الخطاب الحكم طيلة عشر أعوام. وقد ظلت القدس صامدة خلف أسوارها لمدة عام حتى ٦٣٧م حتى أعلن بطريرك المدينة سوفرونيوس نيته لتسليم المدينة المقدسة إذا دخلها عمر خليفة المسلمين بذاته. استجاب عمر، وحينما وصل المدينة تعامل مع المسيحيين واليهود بنفس الأسلوب والأهمية التي أظهرها خالد تجاه مواطني القدس. وعن سبب انتصار المسلمين يحدثنا دزموند⁴⁰ مندهشاً: "حرك سقوط دمشق الإمبراطور هرقل فأعد جيشاً كبيراً يزيد عن ٥٠ ألف مقاتل وهاجم المدينة، فأخلاها العرب وتوجهوا لنهر اليرموك. التقى الجيشان في يوم شديد الحرارة، ولا أعرف هل هو الحظ أم بفضل الإستراتيجية العربية، لقد كانت الرياح شديدة ومحملة بالأتربة، وكان تتجه من الجنوب للشرق. بدأت الرياح تلقى بأتربتها في وجه جنود الجيش البيزنطي المتقدمين من الشمال حتى أعافتهم عن الرؤية مما أدى لهزيمتهم من المسلمين.

أما قيصرية — عاصمة فلسطين — فقد كانت مدينة حصينة تتال دعمها عبر البحر، الأمر الذي أدى لصعوبة حصارها وفتحها من جانب العرب. وتروي المصادر العربية أن العرب نجحوا في الاستيلاء على المدينة نتيجة خيانة يهودي من بين سكانها — يدعى يوسف — كشف للمسلمين عن ممر تحت الأرض يؤدي لداخل المدينة الأمر الذي سهّل الاستيلاء على المدينة، ومع احتلال قيصرية وعسقلان في إثرها انتهت عملية الاستيلاء على ممتلكات البيزنطيين في فلسطين⁴¹.

³⁹ হাসলম הקדום, עמ' 57.

⁴⁰ אותו ספר ועמוד.

⁴¹ תקופת ארבעת החליפים, עמ' 112.

٢- فتح مصر:

وعن احتلال مصر تقول زولشك^{٤٢}: "اقترح عمرو بن العاص الخروج على رأس جيش لفتح مصر، ويروى أن الخليفة عمر عارض هذه الفكرة في البداية بحجة أن المكان الذي يصعب عليك الوصول إليه يصعب عليك فتحه. لكنه في النهاية قرر إرساله على رأس جيش دون أن يمنحه صلاحيات كاملة بل وبتحفظ شديد. بدأت عمليات الفتح في عام ٦٣٩م. وقد وجد عمرو بن العاص معارضاً قوياً تمثل في شخص قيوس مطران مصر ونائب القيصر، الذي دعاه العرب باسم "المقوقس". وقد كان أغلب السكان في مصر من القبط ممن عانوا من اضطهاد المقوقس لهم حيث حاول فرض عقيدة هيراكليس عليهم. أى أن مصر كانت تعاني انقسام وصراع ديني، عبّر عن نفسه في الخلافات بين القوى التي تحاول السيطرة على مصر سواء أكانت بيزنطة أو المسلمين. فتح عمرو في البداية مدينة البلوزيوم (الفرما) ثم توجه إلى الجنوب الغربي بطول النيل، وفتح في طريقه مدينة بلبيس ووصل حتى حصن بابلون وعين شمس. اندلعت معركة هليوبوليس بعد أن تلقى دعم الخليفة، ونجح في هزيمة الجيش البيزنطي من خلال إقامته لعدة فخاب. وكانت المرحلة الثانية من المعركة في نهاية ٦٤٠م بحصار مدينة بابلون (الفسطاط فيما بعد). بدأ البيزنطيون يتشككون في قدرتهم على التصدي للمسلمين الأمر الذي دفع المقوقس لعرض الاستسلام شريطة تبقيه حاكماً على مصر، لكن عمرو أخبره بأنه إذا رفض دخول الإسلام فسيعامل معاملة الذميين. توجه المقوقس لقوشطا للتداول مع القيصر في ذلك. على الجانب الآخر فشلت حملة عربية على الفيوم نتيجة تصدى البيزنطيين الشديد لها. وفي عام ٦٤١م تجدد حصار حصن بابلون، ولم يكن المقوقس قد عاد من قوشطا، وفي أثناء التفاوض بين الطرفين نجح المسلمون في إحداث شق في سور المدينة، الأمر الذي عجل بالسيطرة عليها. هذا وقد سمح المسلمون للمحاصرين بترك المدينة، واكتفوا قبل خروجهم بقتل الأقباط السجناء".

فتح الإسكندرية:

يقول كاهن^{٤٣}: "توجه المسلمون بعد الاستيلاء على بابلون لفتح الإسكندرية، لقد كانت الإسكندرية وهي عاصمة مصر تضم بين جنباتها عدد كبير من السكان

^{٤٢} أوتو سפר, עמי' 112 - 113.

^{٤٣} המזרח הערבי, עמי' 190.

اليونانيين، وبها جيش بيزنطي كبير، وكانت محصنة من ناحية الشمال بالبحر المتوسط الذي نالت من خلاله دعم البيزنطيين، ومن الجنوب والغرب بالنهر وقناة مربواتيس، لذلك كان من السهل اختراقها من الشرق أو من الجنوب الشرقي". يستكمل زولشك⁴⁴ حديثه قائلاً: "في هذه الأثناء مات القيصر هيراكليس وتولت زوجته الحكم، وكان المقوقس من مسانديها رغم تطلعه للسلطة، الأمر الذي دفعه لمحاولة فصل مضر عن بيزنطة والسيطرة عليها بمفرده، لذلك وافق في المرحلة الأولى على الاستسلام للعرب. هكذا استسلمت الإسكندرية في عام ٦٤١م ووقع اتفاق وقف الأعمال الحربية لمدة إحدى عشر شهراً، وسمح عمرو للبيزنطيين بترك المدينة مع ممتلكاتهم، وحددت قيم الضرائب. وطبقاً لبعض الروايات قام المسلمون بحرق المكتبة الكبيرة بالإسكندرية، التي أقامها يوليوس قيصر، ولكن الحقيقة أن المكتبة قد دمرت بعد ذلك بعدة قرون، وأن ذلك لم يكن سوى وشاية وجهت للمحتلين العرب البرابرة".

١) وقائع فتح الشام ومصر في ضوء المصادر الإسلامية:

فتح الشام

ينبغي هنا أن نفرق بين المقاومة الرسمية للفتح والمقاومة الشعبية لأن ذلك يحدد بشكل كبير مدى الترحيب بالفتح الإسلامي، فالمقاومة الرسمية من الدولة البيزنطية وجنودها وحاميتها لن ترحب بالطبع بهذا الفتح بل ستتصدى له بحكم الصراع السياسي والعسكري، بينما المقاومة الشعبية من الأهالي تحدد هنا رد فعل المواطنين تجاه الفتح الإسلامي.

يروى ابن هشام⁴⁵ في سيرته أن فتح الشام بدأ بالاهتمام منذ عهد الرسول (ص) حين أرسل عام ٨هـ/٦٢٩م غزوة بقيادة زيد بن حارثة للأخذ بئار من قتل من أتباعه على الحدود العربية الشامية فيقول: "أمراء غزوة مؤتة قال ابن إسحاق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثة إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس فإن أصيب جعفر فعبد الله ابن رواحة على الناس فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف فلما حضر خروجهم ودع

⁴⁴ תקופת ארבעת החלפים، עמ' 113-114.

⁴⁵ سيرة ابن هشام، ج ٣، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل ١٩٩٠م، ص ٣٢٨، ٣٢٨.

الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم فلما ودع عبد الله بن رواحة من ودع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة فقال أما والله ما بي حب الدنيا ولا صباية بكم ولكني سمعت رسول الله يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا".

وفى منطقة مؤتة جنوب البحر الميت هُزم المسلمون، لكن هذه الهزيمة لم تفت في عضد المسلمين ففي العام التالي قاد الرسول بنفسه حملة إلى تبوك على الأطراف البيزنطية لكنه لم يصطدم بالقوات البيزنطية فكانت الحملة أشبه بمناورة عسكرية قصد منها إظهار القوة في تلك الجهات^{١٦}.

وعن استمرار الاهتمام بفتح الشام في عهد الخليفة الأول أبو بكر الصديق يحدثنا الطبري^{١٧}: "سار أبو بكر على خطوات الرسول (ص) فقرر استكمال تجهيز الجيش الذي أعده الرسول لمواصلة غزو الشام قبيل وفاته، وبرغم الصعوبات التي واجهت الدولة الإسلامية في هذه الفترة خاصة من المرتدين. وكان أبو بكر يدرك أنه لن يحقق الكثير من هذه الحملة في ظل انشغال الجيش الإسلامي بحروب الردة لذلك أصدر أوامره بالألا تتوغل هذه الحملة في الأراضي البيزنطية وتكتفي بمهاجمة الأطراف".

تغيرت الأمور بعد فراغ أبو بكر من حروب الردة، فاستعد جدياً لفتح الشام وجهاز أربعة جيوش، وأسند لكل واحد منها مهاجمة جزء من بلاد الشام، لكن هذه السياسة لم تكن ناجحة لأن التنظيم الحربي البيزنطي هناك كان دقيقاً، ولم يكن يصلح معه تفرق الجيوش الإسلامية. لذلك سرعان ما أمر أبو بكر بتوحيد الجيوش الإسلامية بقيادة خالد بن الوليد، واستطاع الأخير أن يلمم شتات القوات الإسلامية ويوجه ضربة قوية للجيوش البيزنطية في معركة أجنادين عام ١٣هـ/٦٣٤م التي انتهت بهزيمة قاسية للبيزنطيين. يقول البلاذري^{١٨}: "ثم كانت وقعة أجنادين وشهدها من الروم زهاء مائة ألف سرب هرقل أكثرهم وتجمع بأقوامهم من النواحي وهرقل

^{١٦} العدوي، إبراهيم: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٧.

^{١٧} تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٣٠.

^{١٨} فتوح البلدان، ج ١، ص ١٢٠ - ١٢١.

يومئذ مقيم بحمص فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً وأبلى خالد بن الوليد يومئذ بلاء حسناً ثم أن الله هزم أعداءه ومزقهم ممزق وقتل منهم خلق كثير".

وبعد وفاة أبو بكر الصديق وتولية عمر بن الخطاب استمرت الفتوحات في الشام بعد أن حقق المسلمون تقدماً مذهلاً ، وصارت البلاد على وشك معركة حاسمة بعد أن حشد البيزنطيون حشودهم الأخيرة ، واجتمع الطرفان في معركة اليرموك عام ١٥هـ/٦٣٦م ، ودارت الدائرة على البيزنطيين ، وانتصر المسلمون انتصاراً حاسماً استطاعوا بعده أن يستولوا على بلاد الشام كاملة^{٤٩} . وقد لاقى المسلمون ترحيباً كبيراً من أهالي الشام خاصة مع التسامح الذي أبداه المسلمون معهم ، خاصة تجاه أهل بيت المقدس من المسيحيين الذين صدر لهم عهد من عمر بن الخطاب جاء فيه " إنكم آمنون على دماءكم وأموالكم وكنائسكم لا تسكن ولا تخرب إلا أن تحدثوا حدثاً عظيماً"^{٥٠}.

(٢) وقائع فتح مصر :

ويهمنا هنا كما ذكرنا أن نفرق بين المقاومة الرسمية والشعبية لمحاولات فتح مصر من جانب المسلمين وسنبداً بالمقاومة الرسمية والتي بدأت منذ وطأت أقدام المسلمين بقيادة عمرو بن العاص مصر عام ١٨هـ/٦٣٩م . حيث تقدم الجيش الإسلامي من ناحية الشام، فاستولى على رفح، ومنها إلى العريش حتى وصل إلى الفرما وسط مقاومة من القوات البيزنطية، لكنها لم تتمكن من إيقاف المد الإسلامي بقوة حتى وصل إلى حصن بابليون حيث يوجد المقوقس حاكم مصر، ففرض عليه حصاراً طويلاً ، وعرض على المقوقس الشروط الإسلامية المعتادة في عمليات الفتح : الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو القتال^{٥١} . ويبدو أن المقوقس حين رأى إصرار المسلمين وقوتهم أثر المهادنة، ووافق على دفع الجزية لكنه اشترط أن تكون حرية الاختيار للبيزنطيين في مصر في قبول شروط الصلح أو الخروج من مصر ، وأن تكون الكلمة الأخيرة في الصلح للإمبراطور البيزنطي هرقل . ويفهم من ذلك

^{٤٩} الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٤ ، ص ٣٥.

^{٥٠} اليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب: تاريخ اليعقوبى، ج ٢ ، لندن (د.ت)، ص ١٩.

^{٥١} المقرئى، تقى الدين أحمد بن على ، الخطط المقرئية، ج ١ ، تحقيق محمد زينهم، مديحة الشرقاوى، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٨ ، ص ٢٩٠.

أن الصلح يسرى على المصريين بوصف المقوقس ممثلاً لهم ، أما الجالية البيزنطية في مصر فما زال أمرها معلقاً^{٥٢}.

وهناك رواية أخرى خاصة بفتح حصن بابلليون تذكر أنه تم فتحه بالقوة وليس صلحاً، فتروى أنه أثناء الحصار تمكن أحد القادة المسلمين وهو عبد الله بن الزبير من تسلق أحد أسوار الحصن ومعه بعض المقاتلين المسلمين وفتحوا باب الحصن فدخله المسلمون واستباحوا الحصن على أساس أنه فتح عنوة^{٥٣}. وهذه الرواية تؤكد رواية حنا النقيوسي وإن أفرطت في وصف ما قام به المسلمون من قتل في الحصن وما حوله من الرجال والنساء وحتى اللائذين بالكنائس^{٥٤}.

بعد ذلك اتجه عمرو لفتح الإسكندرية بوصفها المعقل الرئيسي للبيزنطيين في مصر ، وفي تلك الأثناء أرسل هرقل إلى المقوقس يؤنبه على موقفه من المسلمين، وقبوله دفع الجزية ويقول له " إنك رضيت أن تكون أنت ومن معك من الروم في حال القبط أذلاء فقاتلهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت أو تظهر عليهم " ^{٥٥}. لكن المقوقس لم يعبأ برد هرقل وأخبر عمرو بن العاص أنه على عهده معه. وعندئذ طلب عمرو من المقوقس أن يضمن له الجسور ويقم له الأنزال والضيافة في طريقه إلى الإسكندرية ، فتعهد المقوقس بذلك^{٥٦}.

ضرب عمرو الحصار على الإسكندرية لكن الأمر لم يكن سهلاً لحصانة المدينة ونظراً لأهمية هذه المدينة بالنسبة للبيزنطيين فقد استعد الإمبراطور هرقل نفسه للخروج للدفاع عنها لكن الموت كان سباقاً إليه . وهكذا طال حصار المسلمين لها لكن الأمور سارت في النهاية في صالح عمرو ورفاقه لاضطراب الأمور في الإمبراطورية بعد موت هرقل وانقسام الجيش البيزنطي في مصر على نفسه ورغبة المقوقس^{٥٧}، يقول البلاذري^{٥٨}: " قال المقوقس لعمرو بن العاص أسألك ثلاثاً أن لا

^{٥٢} كاشف، سيدة إسماعيل ، مصر في فجر الإسلام ، ص ١٢.

^{٥٣} البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ١٣٦.

^{٥٤} انظر :

The Chronicle of John , Bishop of Nikiu , tr. Charles , H., (Oxford , 1916),p.201.

^{٥٥} المقرئى ، الخطط ، ج ١، ص ٢٩٢.

^{٥٦} الرافعى، عبد الرحمن ، عاشور، سعيد عبد الفتاح ، مصر في العصور الوسطى ، ص ٢٧.

^{٥٧} كاشف، سيدة إسماعيل ، مصر في فجر الإسلام ، ص ١٣.

^{٥٨} فتوح البلدان ، ص ٢٢٢.

تبدل للروم مثل الذي بذلت لي فإنهم قد استغشوني وأن لا تنتقض بالقبط فإن النقض لم يأت من قبلهم وإن مت فمر بدفني في كنيسة بالإسكندرية ذكرها فقال عمرو هذه أهون علي". ويذكر حنا النقيوسي⁵⁹ أن المقوقس لم يكن هو الذي يرغب في السلام وحده وإنما يرغب فيه أيضاً السكان والحكام ، ولذا اجتمعوا وانفقوا معه على إنهاء الحرب وعقد صلح مع المسلمين. وقد عد أحد المؤرخين المحدثين سعى المقوقس للصلح مع عمر بن العاص خيانة لقومه ودينه ، وبرر هذا السعى من قبل المقوقس بأنه ربما ظن أن المسلمين سيساعدونه في بسط سيادته على الكنيسة القبطية بعيداً عن سطوة الكنيسة الأم في القسطنطينية⁶⁰.

وبعد هذه الخطوة واصل عمرو بسط سيطرته على باقي أجزاء مصر ، بحيث لم تنته سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م حتى كانت مصر بأكملها في أيدي المسلمين . وبوجه عام تبدو لنا خطوات فتح مصر وموقف المقاومة الرسمية متغيراً بين القتال والصلح ، ولم يكن أمراً سهلاً يدل على ذلك أن عمليات الفتح استغرقت قرابة السبع سنوات حتى تمت السيطرة الإسلامية على مصر بأكملها.

أما عن رد فعل المصريين فتذكر المصادر الإسلامية أن أقباط مصر ساعدوا عمرو بن العاص وصحبوه في زحفه على الإسكندرية، فيذكر ابن عبد الحكم⁶¹: " فخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم الطرق وأقاموا لهم الجسور والأسواق . وصارت لهم القبط أعواناً على ما أرادوا من قتال الروم "، وربما كان ذلك راجعاً لسياسة عمرو بن العاص المتسامحة مع المسيحيين فعندما سمع عمرو بقصة البطريق بنيامين الذي فر من وجه المقوقس واختفى سنوات طويلة في الصعيد ، أصدر له أماناً ، فعاد بنيامين بعد غيبة طويلة إلى كرسيه بالإسكندرية ومعه عدد كبير ممن كانوا معه فراراً من اضطهاد البيزنطيين⁶².

وحتى إذا لم يقدم كل المصريين المساعدة للقاتحين المسلمين، فإنهم على الأقل لم يتعاطفوا مع الجيش البيزنطي في قتاله مع المسلمين، بل وأعتبر بعضهم أن

The Chronicle of John, op. cit., p.201.

⁵⁹ انظر :

⁶⁰ بتر، الفريد ج.، فتح العرب لمصر، ط٢، ت: محمد فريد أبو حديد، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٦م، ص ٣٣٤.

⁶¹ فتوح مصر ، ص ٦٦.

⁶² ابن المقفع ، سير الأباء البطارقة ، ج ١ ، ص ٢٣٣.

انتصار العرب عليهم واستيلائهم على الممتلكات البيزنطية عقاب إلهي ضدهم ، ففي الحوليات التي كتبها الأسقف المصري حنا النقيوسي John of Nikiu يذكر أن ما حل بالبيزنطيين على يد المسلمين كان عقاباً إلهياً، وأن نجاحهم فى فتح مصر والاستيلاء على حصن بابلون هو عقاب لقيرس والبيزنطيين على محاولاتهم نشر هرطقة مجمع خلقدونية الخاص بوجود طبيعتين للمسيح ومحاولة إجبار المصريين على اعتناق هذا المذهب"⁶³.

لكن ذلك لم يكن يعنى أن الأمور كانت مواتية للمسلمين، وأنه لم تكن توجد أية مقاومة شعبية من المصريين لعمليات الفتح ؛ فقد كانت هناك بعض من المقاومة الشعبية ، حيث قاومت بعض القرى المصرية جيش المسلمين ، مثل طوخ ودمياط وأشمون وتينيس وغيرها. فسباهم عمرو وأرسلهم للمدينة، ولكن الخليفة عمر أمنهم وأعادهم واعتبرهم أهل ذمة، وفى ذلك يقول البلاذرى⁶⁴ : "وكانت قرى من مصر قاتلت فسبى منهم والقرى بلهيت والخيس وسلطيس فوق سباؤهم بالمدينة فردهم عمر بن الخطاب وصيرهم وجماعة القبط أهل ذمة وكان لهم عهد لم ينقضوه". ولكن يظهر أن أغلب مؤرخى المسلمين لم يرضوا أن يذكروا هذه المقاومة إلا تلميحاً، حتى لا يظهر المصريون بمظهر المقاوم للمسلمين؛ ذلك أن مصر فيما بعد ستتحول إلى الإسلام ، وتحتل مركز الزعامة فيه⁶⁵ :

وبعد يرى الباحث أن المؤرخين اليهود يتفقون مع الرواية الإسلامية العامة لوقائع الفتح، لكن الملاحظ تعتمد البعض أمثال زولشك اعتماد الاتجاه السلبي لبعض الروايات الإسلامية، واتخاذ وجهة النظر السلبية وإغفال الإيجابية، حتى وإن كانت وجهات النظر المطروحة لمؤرخ واحد فقط، فعلى سبيل المثال تشبثت زولشك برواية حنا النقيوسي والبلاذرى حول استباحة حصن بابلون، واغفلوا وجهة النظر الأخرى، والتي تتردد لدى معظم المؤرخين المسلمين، التي رأت أن الحصن سلم ضواعية بعد عقد الصلح. وهو ما يعكس تربص البعض بالإسلام ومحاولة تشويهه

⁶³ انظر :

John of Nikiu , Chronicle , p.186 ; Kaegi , W., Initial Byzantine reactions to the Arab conquest , *Church History* , 38 (1969),p.148.

⁶⁴ فتوح البلدان ، ص ١٣٨ ؛ راجع: ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٨٣.

⁶⁵ ماجد، عبد المنعم ، التاريخ السياسي للدولة العربية، ص ٢٢٠.

بأى شكل. ناهيك عن اختلاق الروايات، أمثال دزموند الذي يفترض أن المسلمين انتصروا في دمشق بمساعدة الرياح والأتربة، وهو ما تثبته المصادر الإسلامية.

رابعاً: نتائج الفتح:

نتائج الفتح من وجهة النظر اليهودية:

يحدثنا حاييم بن ساسون^{٦٦} عن أثر التحول للحكم الإسلامي قائلاً: "لقد أدى الفتح العربي في القرن السابع الميلادي إلى وحدة معظم اليهود، كما مكنهم وبشكل كبير من التنقل والانتشار، لقد اتحد اليهود على الفرات وحاقل وفارس تحت حكم مملكة واحدة مع اليهود في فلسطين، مصر، شمال إفريقيا، ثم مع إخوانهم بعد فترة قصيرة في الأندلس. إن فتح العرب للمناطق الخاضعة للحكم البيزنطي كانت تمثل تغييراً شاملاً لليهود وللأفضل، لمزيد من الأمن والحرية الاجتماعية، لأوضاع اقتصادية أفضل بكثير".

ويمكن أن نقسم نتائج الفتح لنقاط أهمها:

١) محاولات بيزنطية لاستعادة مصر:

تحدثنا زولشك^{٦٧} عن تبدل الأوضاع في مصر بعد تحولها للحكم الإسلامي قائلة: "عين الخليفة عبد الله بن سعد بن أبي سرح، قريبه، عاملاً للجزية على مصر، وكان عامله الأول فيها، كما تولى قيادة حملتين ناجحتين على النوبة انتهتا في "بقت"، وقد اضطر المسلمون لتقديم خمور وثمار لقاء عبيد من النوبة. عزل الخليفة عمرو بن العاص جزئياً، ومات المقوقس قبل أن يتحقق حلمه بحكم مصر. هذا وقد أمل المصريون في أن يروا حكم إسلامي رشيد يرفع عنهم الظلم ويخفف عنهم ما عانوه من ويلات الضرائب، لكن عبد الله بن أبي سرح كان على ما يبدو يبحث عن أطماعه، ومن ثم فرض المزيد من الضرائب على أهل مصر الأمر الذي أدى لتمرّد المصريين ضده يدعمهم في ذلك البيزنطيون. وبالفعل في عام ٦٤٥م حاصر أسطول بيزنطي الإسكندرية، ثم تقدم نحو بابلون. ولكن البيزنطيون عادوا ليتعاملوا بقسوة مع القبط، الأمر الذي أدى لانضمام القبط للمسلمين في حربهم ضد البيزنطيين، كما أسرع خليفة المسلمين في تعيين عمرو بن العاص ثانية ذلك الذي نجح في طرد البيزنطيين من مصر عام ٦٤٦م. عاد البيزنطيون محاولة السيطرة

^{٦٦} "פרקים בתולדות היהודים בימי הביניים", עם עובד, ה'ד"ו, ת"א 1977, עמ' 18.

^{٦٧} תקופת ארבעת החליפים, עמ' 114.

على مصر ثانية في عام ٦٥٥م، لكن معاوية حاكم سوريا في هذا الوقت أعد أسطولاً كبيراً وبدأ محاولة الاستيلاء على جزر قبرص ورودس وكريت، الأمر الذي أدى لفشل مساعي البيزنطيين، ونجح المسلمون في التصدي للبيزنطيين تحت قيادة عبد الله بن أبي سرح في معركة بحرية عند ساحل أنطوليا الجنوبي عُرفت باسم معركة "التتريم" عام ٦٥٥م.

(٢) الأوضاع الداخلية:

وعن الأوضاع الداخلية يحدثنا دزموند^{٦٨} قائلاً: "وضع عمر بن الخطاب قواعد لحكم المناطق المفتوحة صار عليها من أتوا بعده؛ فبالنسبة لفرض الضرائب أوصى القرآن أن يبين للمسلمين التزاماتهم، لذلك طلب من غير المسلمين تقديم الضرائب، ضريبتى الرأس والأرض. كما فرق المسلمون بين البلدان المستسلمة وتلك التي فتحت بالقوة، فقد تركت الأراضي في البلدان المستسلمة لأصحابها، وقدموا الضرائب مقابل أمنهم؛ أما الحالة الثانية فقد اعتبرت أراضيهم وأموالهم غنيمة حرب وطبقت شريعة القرآن، حيث يعود الخمس لبيت المال ويقسم الباقي بين المحاربين. ورغم ذلك رأى المسلمون بشكل عام أنه من الممكن ترك الأراضي لأصحابها في مقابل تقديم الطعام للجيش ودفع الضرائب لدعم الجيش في معاركه.

وعن علاقة العرب بالأعراق والجماعات الأخرى تقول زولشك^{٦٩}: "سكن العرب في المدن التي اعتبرت من الناحية العملية معسكرات جند، تلك المعسكرات المسماة بالأمصار، والتي أقيمت في المدن القديمة مثل طبرية، اللود، بابيلون، والفسطاط، أو المدن الجديدة التي أقيمت في فترة متأخرة حول تلك المعسكرات، حيث تجمع المواطنون حول الحكام ليفيدوا ويستفيدوا منهم. وقد سكن العرب أنفسهم هذه المدن لفترات طويلة، لكنهم حافظوا على روح الكراهية بين الجماعات المختلفة كونهم في الأساس طبقة حاكمة في مواجهة بقية الطبقات المحتلة. كما منع عمر بن الخطاب امتلاك الأراضي خارج الجزيرة العربية، وحاول الحفاظ على الأراضي المسماة بالملكية العامة. والحقيقة أن الطبقة العربية الحاكمة لم تكن تحكم بقوة الدين، وإنما بقوة الجنس أو القومية. وعلى العكس؛ فإن إسلام أبناء المناطق المفتوحة من غير العرب لم يمنحهم حق انضمامهم للطبقة الحاكمة. لقد أطلق عليهم "موالي" كما

^{٦٨} האסלם הקדום , עמ' 57-58.

^{٦٩} תקופת ארבעת החליפים, עמ' 115.

فى فترة الجاهلية، أى أنه لا يكفى الدخول فى الإسلام، وإنما كان ضرورة انضمامهم — على الأقل نظرياً — لإحدى القبائل العربية! وكانت طبقة الداخلين فى الإسلام قليلة جداً بالقياس بطبقة المسلمين العرب، الأمر الذى أدى فى فترة متأخرة لأعمال شغب وتمرد وحركات متعددة، حارب فيها الموالى من أجل المساواة العرقية مع الطبقة الحاكمة. على أية حال فحتى نهاية الحكم الأموى لم يجد الموالى وظائف قيادية سواء فى الحكم أو القضاء، كما لم ينالوا شيئاً من الغنائم ولم يتمكنوا من الخدمة فى سلاح الفرسان العظيم. كما كان العرب حذرين من الزواج منهم، وانتشرت فى حقهم عدة إشاعات وردت على لسان نبي الإسلام، كان كثير منها مخزى".

يستكمل دزموند⁷⁰ قائلاً: "لم يضطر المسلمون شعوب البلدان المفتوحة على دخول الإسلام، لكن هؤلاء الذين لم يقبلوه حرموا من أية مظاهر دينية خارج المعبد أو الكنيسة. كما فرضت عليهم ملامح دينية كالجرس وبناء أماكن عبادة جديدة". وعن أزمة الموالى والعطايا تقول زولشك⁷¹: "وبعيداً عن التحديد العام بأن المحتلين العرب هم جماعة عسكرية مغلقة تعد من الصفوة، كان المواطنون مضطرون لإعالتهم. وقد حدّد عمر نظام صارم يفصل بين العرب ذاتهم، وذلك عن طريق نقل مؤسسة "الديوان" الفارسي — وزارة المالية، والتي كانت وظيفته الأولى تقديم العطايا للعرب من غنائم المحتلين. وكانت أسرة النبي فى المكانة الأولى فى ترتيب من يحظون بالعطايا، يأتى بعدهم المهاجرين، ثم الأنصار (أى الصحابة، أصحاب النبي) طبقاً لترتيب إسلامهم. ثم يأتى فى آخر القائمة أبناء القبائل والجند. ولم ينل الموالى أية عطايا حكومية، رغم ما قدموه من دعم كبير للفاتحين. أما السكان المحليين ممن لم يدخلوا الإسلام فهم "أهل الذمة"، وقد انضم لهذه الطبقة فقط أبناء الديانات التوحيدية، لكن الظروف جعلت الفرس وأبناء طبقات أخرى ينضمون لها. لقد كانوا مستقلين لحد كبير، كما كان لهم حق المثل أمام قضاء خاص بهم، وتمت الموافقة على تنظيمهم الطائفي. وكان التزامهم الوحيد هو دفع الجزية لقاء تأمين حياتهم وثرواتهم وحرية عقيدتهم".

⁷⁰ האסלם הקדום, עמ' 58.

⁷¹ תקופת ארבעת החליפים, עמ' 116.

نتائج الفتح في ضوء المصادر الإسلامية:

تؤكد المصادر الإسلامية على عزل أبو بكر لعمر بن الخطاب فيقول البلاذري^{٧٢}: "ولما ولي عمرو وردان مولاه الإسكندرية ورجع الفسطاط فلم يلبث إلا قليلا حتى أتاه عزله فولى عثمان بعده عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث أحد بني عامر ابن لؤي مكان أخا عثمان من الرضاعة وكانت ولايته في سنة خمس وعشرين ويقال أن عبد الله بن سعد كان على خراج مصر من قبل عثمان فجرى بينه وبين عمرو كلام فكتب عبد الله يشكو عمرا فعزله عثمان وجمع العاملين لعبد الله بن سعد وكتب إليه يعلمه أن الإسكندرية فتحت مرة عنوة وانتقضت مرتين ويأمره أن يلزمها رابطة لا تفارقها وأن يدر عليهم الأرزاق ويعقب بينهم في كل سنة أشهر".

وعن مشكلة النوبة تؤكد المصادر الإسلامية الواقعة لكنها لم تذكر واقعة تقديم المسلمين للخمر، وإنما كان طعام فقط فيقول الطبري^{٧٣}: "ان المسلمين لما فتحوا مصر غزوا نوبة مصر ففعل المسلمون بالجرحات وذهاب الحديق من جودة الرمي فسموا رماة الحديق فلما ولي عبدالله بن سعد بن أبي سرح مصر ولاه إياها عثمان بن عفان رضي الله عنه صالحهم على هدية عدة رؤوس منهم يؤدونهم إلى المسلمين في كل سنة ويهدي إليهم المسلمون في كل سنة طعاما مسمى".

وعن مخالفات عبد الله بن سعد بن أبي سرح تحدثنا المصادر الإسلامية عن شخص هذا الرجل فتصفه بصفات سلبية كثيرة، ومن ذلك يحدثنا الطبري عن ارتداده عن الإسلام على عهد الرسول وإياحة الرسول لدمه، يقول الطبري^{٧٤}: "قيل من كان يكتب لرسول الله ذكر أن عثمان بن عفان كان يكتب له أحيانا وأحيانا علي بن أبي طالب وخالد بن سعيد وأبان بن سعيد والعلاء بن الحضرمي قيل أول من كتب له أبي بن كعب وكان إذا غاب أبي كتب له زيد بن ثابت وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح ثم ارتد عن الإسلام ثم راجع الإسلام يوم فتح مكة". وعن أهدار الرسول دمه يحدثنا ابن كثير^{٧٥}: "وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي

⁷² فتوح البلدان، ج ١، ص ٢٢٤؛ راجع: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٥٩٧.

⁷³ تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٥١٧؛ راجع: البلاذري، فتوح البلدان، ج ١، ص ٢٣٨.

⁷⁴ تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٢١٨.

⁷⁵ البداية والنهاية، ج ٤، مكتبة المعارف، بيروت (د.ت)، ص ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

فقال يا رسول الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رأيته كفت يدي عن بيعته فيقتله فقالوا ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أومأت إلينا بعينك فقال إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين"، ويحدثنا الطبري^{٧٦} قائلاً: "أن رسول الله قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ألا يقتلوا أحداً إلا من قاتلهم إلا أنه قد عهد في نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت ستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح".

وعن مازق عثمان بن عفان بعد انتفاضة أهل الإسكندرية، وضرورة إعادة عمرو لمكانته الأولى يقول ابن عبد الحكم^{٧٧}: "وكان عثمان قد عزل عمرو بن العاص، وولى عبد الله بن سعد، فلما نزلت الروم الإسكندرية سأل أهل مصر عثمان أن يقر عمراً حتى يفرغ من قتال الروم، فإن له معرفة بالحرب وهيبة في العدو. ففعل. وكان على الإسكندرية سورها، فحلف عمرو بن العاص، لئن أظهره الله عليهم ليهدم سورها حتى تكون مثل بيت الزانية، وتؤتى من كل مكان، فخرج إليها عمرو في البر والبحر".

وعلى المستوى الداخلي تحدثنا المصادر الإسلامية عن كيفية تعامل المسلمين مع شعوب البلدان المفتوحة منذ اللحظة الأولى، وروح التسامح الإسلامية، يقول ابن تغري بردي^{٧٨}: "وحاصر المسلمون عين شمس من مصر في اليوم الرابع وارتقى الزبير عليهم سور البلد فلما أحسوا بذلك خرجوا إلى عمرو من الباب الآخر فصالحوه واخترق الزبير البلد حتى خرج من الباب الذي عليه عمرو فأمضوا الصلح وكتب لهم عمرو كتاب أمان بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقض ولا تساكنتهم النوبة وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح".

وقد احتفظت السلطة الإسلامية في البلدان المفتوحة بتنظيمها العسكري إلى أبعد الحدود، وكان قواد الحاميات، في الوقت نفسه، أول حكام عينهم الخليفة. ليس

^{٧٦} تاريخ الأمد والملوك ، ج ٢ ، ص ١٧٤.

^{٧٧} فتوح مصر، ص ٢٣٥.

^{٧٨} النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٢٤.

هذا فحسب بل لقد كانوا يؤمنون الناس في الصلاة وبعظونهم في الجُمع، ذلك أن الجند والجماعة كانوا سواء. كذلك كان من مهامهم ، أول الأمر، النظر في المظالم والحكم بين المتخاصمين ، وهي مهمة لم يكن يعين لها رجال على وجه الخصوص حتى في عهد الخلافة الأموية. أما إدارة الضرائب فكانت وحدها منوطة، منذ البداية، بموظف مسئول مباشرة من الخليفة^{٧٩}.

وعن توزيع العطايا يحدثنا الشيباني^{٨٠} في كتابه الكامل قائلًا: "وفي سنة عشرة فرض عمر للمسلمين الفروض ودون الدواوين وأعطى العطايا على السابقة وأعطى صفوان بن أمية والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو في أهل الفتح أقل ما أخذ من قبلهم فامتنعوا من أخذه وقالوا لا نعتزف أن يكون أحد أكرم منا فقال إنني إنما أعطيتكم على السابقة في الإسلام لا على الأحساب قالوا فنعم إذن وأخذوا وخرج الحارث وسهيل بأهليهما نحو الشام فلم يزالا مجاهدين حتى أصيبا في بعض تلك الدروب وقيل ماتا في طاعون عمواس ولما أراد عمر وضع الديوان قال له علي وعبد الرحمن بن عوف أبدا بنفسك قال لا بل أبدا بعم رسول الله ثم الأقرب فالأقرب ففرض للعباس وبدأ به ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أفلح أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر ومن ولى الأيام قبل القادسية كل هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين وفرض لأهل البلاء النازع منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة فقليل له لو ألحقت أهل القادسية بأهل الأيام فقال لم أكن لألحقهم بدرجة من لم يدركوا وقيل قد سويت من بعدت داره بمن قربت داره وقاتلهم عن فئائه فقال من قربت داره أحق بالزيادة لأنهم كانوا أردءا للحتوف وشجى للعدو فهلا قال المهاجرون مثل قولكم حين سويننا بين السابقين منهم والأنصار فقد كانت نصره الأنصار بفنائهم وهاجر إليهم المهاجرون من بعد...."

^{٧٩} بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، العرب والإمبراطورية العربية، ج ١، تعريب: نبيه أمين فارس، منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٤٨، ص ١٢٩.

^{٨٠} الكامل في التاريخ، ج ١، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥، ص ٣٥٠ - ٣٥١.

وبعد هذا العرض لنتائج الفتح يتبين الباحث أن هناك اتفاق لحد كبير فى رواية نتائج الفتح بين الرواية التى يقدمها المؤرخون اليهود والرواية الإسلامية. وإن لاحظنا تمسك بعض المؤرخين اليهود كزولشك ببعض السلبيات الواردة فى بعض الروايات الإسلامية، كتمسكها باضطهاد المسلمين لأهل الذمة، وإغفالها الحقوق التى منحها الإسلام لها بعد عصور من الاضطهاد عاشها القبط فى ظل الحكم البيزنطي. كما لا يمكننا أن نغفل ما أورده عن تقديم المسلمين الخمور لأهل النوبة وهو ما لم يرد فى المصادر الإسلامية.

نتائج البحث

- يتوجب علينا منذ البداية أن نشير إلى حقيقة هامة؛ ألا وهى أن المؤرخين اليهود الذين تناولنا أعمالهم بالدراسة اعتادوا اعتبار الفتح العربى الإسلامى غزواً أو احتلالاً فاستخدموا مصطلح דיכוי - פלישות.
- اتفق المؤرخين اليهود بوجه عام فى روايتهم عن الأوضاع العامة قبل الفتح على تعدد عوامل انهيار أوضاع أهل الشام ومصر مع رواية المصادر الإسلامية. وإن اختلفوا فى الاتجاهات الخاصة بكل منهم، ففى حين تؤكد زولشك على الطبقة واختلاف اللغة والاضطهاد الدينى، أكد أهرون كاهن على الضعف الذى أصاب أرجاء الإمبراطورية من الداخل نتيجة حروبها، وكذلك العامل الاقتصادى بما تضمنه من فرض ضرائب باهظة والاضطهاد الدينى. واهتم دزمون بالضرائب واعتبرها سبباً رئيسياً فى الانهيار، وعول سفرائى على الحروب الطاحنة وأثرها على الشعوب فى تصاعد آمال الخلاص.
- زيف المؤرخين اليهود حقائق أسباب الفتح، الذى انتقوا ما يحلو لهم من المصادر الإسلامية، وأكدوا فقط على ما وجدوه من سلبيات وتناسوا كل إيجابيات الإسلام، وادعوا أن الإسلام انتشر فقط لأن المسلمين كانوا راغبين فى مزيد من الثروات والغنائم، ومن أجل مطامع اقتصادية وعضوا الطرف عن الهدف الرئيسى وهو نشر الإسلام، كما ادعوا أن المسلمين لم يكونوا على قدر كافى من استيعاب الإسلام، هذا بالإضافة لرأى بعضهم المضلل أمثال كاهن الذى رأى أن الإسلام كان غير قادر على مجابهة الأديان السماوية الأخرى. ولكنى أسوق هنا الدليل على قدرة الإسلام على مجابهة المسيحية واليهودية. هكذا وقف اليهود فى الشام لجوار المسلمين ضد البيزنطيين، يقول البلاذرى: "نهض اليهود فقالوا والتوراة لا يدخل عامل هرقل

مدينة حمص إلا أن نغلب ونجهد فأغلقوا الأبواب وحرسوها". أما القبط أهل مصر، فإنهم عاونوا المسلمين على فتح مصر متناسين أن المسلمين بالنسبة لهم غزاة، يقول ابن عبد الحكم: "فخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم الطرق وأقاموا لهم الجسور والأسواق. وصارت لهم القبط أعواناً على ما أرادوا من قتال الروم". هكذا استطاع الإسلام والمسلمين استيعاب اليهود في بلاد الشام، والقبط في مصر، وتحويل نظرهم للمسلمين من غزاة إلى مناصرين أو كما قال اليهود مخلصين.

- يرى الباحث أن المؤرخين اليهود يتفقون مع الرواية الإسلامية العامة لوقائع الفتح، لكن الملاحظ تعتمد البعض أمثال زولشك اعتماد الاتجاه السلبي لبعض الروايات الإسلامية، واتخاذ وجهة النظر السلبية وإغفال الإيجابية، حتى وإن كانت وجهات النظر المطروحة لمؤرخ واحد فقط، فعلى سبيل المثال تثبتت زولشك برواية حنا النيقوسى والبلاذرى حول استباحة حصن بابلون، واغفلوا وجهة النظر الأخرى، والتي تتردد لدى معظم المؤرخين المسلمين، التي رأت أن الحصن سلم ضواعية بعد عقد الصلح. وهو ما يعكس تربص البعض بالإسلام ومحاولة تشويبه بأى شكل. ناهيك عن اختلاق الروايات الكاذبة، ومن ذلك ما ادعاه دزموند من أن المسلمين انتصروا في دمشق بمساعدة الرياح والأتربة، وهو ما لم تثبته المصادر الإسلامية.

- هناك اتفاق لحد كبير في رواية نتائج الفتح بين الرواية التي يقدمها المؤرخون اليهود والرواية الإسلامية. وإن لاحظنا تمسك بعض المؤرخين اليهود كزولشك ببعض السلبيات الواردة في بعض الروايات الإسلامية، كتمسكها باضطهاد المسلمين لأهل الذمة، وإغفالها الحقوق التي منحها الإسلام لهم بعد عصور من الاضطهاد عاشها القبط في ظل الحكم البيزنطي. كما لا يمكننا أن نغفل ما أورده زولشك عن تقديم المسلمين الخمور لأهل النوبة وهو ما لم يرد في المصادر الإسلامية

قائمة المراجع

مصادر باللغة العربية:

- ابن اسحق ، فتوح مصر وأعمالها ، القاهرة ١٢٧٥هـ.
 - ابن المقفع، ساويرس: سير آباء البطارقة ، ج ١ ، باريس ١٩٠٧.
 - ابن تغرى بردى، جمال الدين ابى المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة (د.ت).
 - ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، القاهرة ١٩١٤.
 - ابن كثير، إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، ج ٤، مكتبة المعارف، بيروت (د.ت).
 - ابن هشام ، عبد الملك، سيرة ابن هشام ، ج ٣، تحقيق: طه عبد الووف سعد، دار الجيل ١٩٩٠م
 - البلاذرى احمد بن يحيى، فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢م.
 - الشيبانى، محمد بن محمد بن عبد الواحد: الكامل فى التاريخ، ج ١، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥.
 - الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ١ ، ط ١، دار الكتب، بيروت ١٩٨٦م.
 - المقرئى، تقى الدين أحمد بن على ، الخطط المقرئية، ج ١ ، تحقيق محمد زينهم، مديحة الشرقاوى، مكتبة مديولى، القاهرة ١٩٩٨
 - اليعقوبى، أحمد بن أبى يعقوب: تاريخ اليعقوبى، ج ٢ ، ليدن (د.ت).
- مراجع باللغة العربية:
- الرافعى، عبد الرحمن ، عاشور، سعيد عبد الفتاح ، مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، القاهرة ٢٠٠٠.
 - العدوى ، إبراهيم ، الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ، القاهرة ١٩٥١.
 - أومان ، الإمبراطورية البيزنطية ، ت.طه بدر ، القاهرة ١٩٥٣ .
 - بتلر، الفريد ج.، فتح العرب لمصر، ط ٢، ت: محمد فريد أبو حديد، مكتبة مديولى، القاهرة ١٩٩٦م
 - بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، العرب والإمبراطورية العربية، ج ١، تعريب: نبيه أمين فارس، منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٤٨.
 - بل، هـ . أيدرس: مصر من الأسكندر الأكبر حتى الفتح العربى، عربيه: د. عبد اللطيف أحمد على، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٨

- رمضان، هويدا عبد العظيم: المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩.
- عبد الهادي، جمال: فتح مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٩.
- فيصل، شكرى: حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول، القاهرة ١٩٥٢.
- قاسم، عبد قاسم: أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك، دراسة وثائقية، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (القاهرة ٢٠٠٣م)
- كاشف، سيدة إسماعيل: مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، القاهرة ١٩٧٠.
- ماجد. عبد المنعم، التاريخ السياسي للدولة العربية: عصور الجاهلية والنبوة والخلفاء الراشدين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٢م.

مراجع باللغة العبرية:

- בן ששון, ח. י., פרקים בתולדות היהודים בימי הביניים, עם עובד, ה"ד" 4, ת"א 1977
- זולשק, ברכה, תקופת ארבעת החליפים הראשונים " אלחליפא אלראשדון", מאמר בספר פרקים בתולדות הערבים והאסלם, בעריכת חוה לסרוס - יפח, הוצאת רשפים ספרים, ה"ד", ת"א 1981
- חוראני, אלברט, היסטוריה של העמים הערביים, בעריכת יהושע פרנקל, דביר, ת"ל 1996
- כהן, אהרון, המזרח הערבי, מה" 3, ספירת פעלים, ת"א 1960
- סטיוארט, דזמונד, האסלם הקדום, התקופות הגדולות בהיסטוריה של תרבויות העולם, ספרית מעריב, 1977
- ספראי, שמואל. תולדות עם ישראל, כרך 2, בעריכת: בן ששון, ח. ה, הוצאת דביר, תל אביב 1969,

مراجع باللغة الإنجليزية:

- Kaegi, W., Initial Byzantine reactions to the Arab conquest, *Church History*, 38 (1969)
- The Chronicle of John, Bishop of Nikiu, tr. Charles, H., (Oxford, 1916),